

ملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع اليابان بين حملة بيرى (١٨٥٣ - ١٨٥٤) وأسئلة التحدي الغربي، وذلك في نقاط محددة هي: السياق التاريخي لحملة الكومودور الأمريكي بيرى على اليابان، وحملة بيرى ونتائجها السياسية والدبلوماسية، وحملة بيرى وانعكاساتها الداخلية، والتحدي الغربي والاتجاه نحو عهد الإحياء الإمبراطوري، وعهد الميجي وبداية التحول الياباني، والنخبة وصناعة التغيير في يابان الميجي، والتحدي الغربي وجيوب المقاومة اليابانية، واليابان بين مرحلة الدهشة والبناء الاستراتيجي.

مقدمة

هل كانت حملة بيرى عام ١٨٥٣م العامل الأساس في انطلاق عهد التحديث الياباني؟ وما هو السبيل التنموي الذي كان مقدرًا لليابان أن يسلكه، لو بقي في عزلته الطوعية الطويلة التي دامت أزيد من ٢٥٠ سنة؟ ألم يسهم الغرب في إخراجه من عتبات النظام الفيودالي، وتراتبته الصارمة، وإدخاله إلى "نور" التحديث الغربي؟ يحتاج الأمر إلى تحقيق وتفصيل بعرض الوثائق، وتحليل المعطيات، وتفكيك المقدمات والخروج بالنتائج والتأويلات.

يحاول البحث الاستقصاء عن إحدى أنجح التجارب التاريخية في مواجهة الظاهرة الغربية بقوتها المادية والعسكرية والثقافية، كما يتتبع الخطوات المدروسة التي أقدم عليها اليابانيون وهم يواجهون التحديات الغربية في منطقة الشرق الأقصى منذ أواخر القرن الثامن عشر. وإذ نورد طبيعة الرد الياباني على حجم الضغوط الغربية، بثقل خفي، مسألة تجارب النهوض العربية وإخفاقها في إنتاج أجوبة حضارية مكافئة لما قام به اليابانيون خلال هذه المرحلة التاريخية.

السياق التاريخي لحملة الكومودور الأمريكي بيرى على اليابان

أسهم البعد المجالي الجغرافي في اهتمام القوى الغربية بالمسألة اليابانية، فقرب اليابان من الصين دفع الولايات المتحدة وروسيا إلى إلقاء اهتمام متزايد بها،^(١) ومنذ ١٧٩٢م أرسلت الحكومة الروسية لأكسمان* Laxman إلى نوميرو* Nemuro وطلب المبعوث الروسي من الباكوفو السماح لبلده بالتجارة، لكن طلبه قوبل بالرفض.^(٢) وفي سنة ١٨٠٨م، وضمن الصراع الهولندي الإنجليزي، تمكنت سفينة بريطانية من خرق السيادة البحرية لليابان في ميناء ناكازاكي Nakazaki، وتنامي الإحساس بالخطر الغربي بعد اندلاع حرب الأفيون سنة ١٨٤٠م، بين إنجلترا والصين حيث تبين لليابانيين بالملحوس هول الخسائر التي تكبدتها الصين نتيجة لهذه المواجهة غير المتكافئة.

وبعد ذلك بخمس سنوات، أي في سنة ١٨٤٥م صوت الكونغرس الأمريكي لصالح قرار يدعو الحكومة الأمريكية إلى اتخاذ إجراءات، تحقق - بطرق دبلوماسية - بعض التوافقات التجارية



اليابان بين حملة بيرى (١٨٥٣ - ١٨٥٤) وأسئلة التحدي الغربي

د. يحيى بولحية

دكتوراه في التاريخ المقارن
أستاذ بالثانوية التأهيلية العيون الجديدة
وجدة - المملكة المغربية



الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

يحيى بولحية، اليابان بين حملة بيرى (١٨٥٣ - ١٨٥٤) وأسئلة التحدي الغربي - دورية كان التاريخية - العدد الخامس عشر: مارس ٢٠١٢. ص ٤٠ - ٤٨.

www.kanhistorique.org

ISSN: 2090 - 0449

خمس أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ - ٢٠١٢

تلك الاتفاقيات البند الذي نص على رفض الأجانب المثل أمام المحاكم الأجنبية، وإصرارهم على أن تتم محاكمتهم أمام قناصل دولهم وبلاستناد فقط إلى قوانين الدول التي ينتمون إليها^(٩)، مما كان يعني الانتقاص من السيادة اليابانية، وبداية انتزاع أهم رموزها من إدارة الشوجون.

رأى اليابانيون في هذه المعاهدات تلبس بلدهم بدناسة "البرابرة"، فازدادت "الثورات الداخلية للفلاحين نشاطاً وتوسعاً، كما.. إن عناصر من الحكم العسكري القائم آنذاك من مقاطعتي ساتسوما وشوتشو أعلنوا العصيان والاتحاد ضد الإقطاع"^(١٠) في هذا الإطار اعتبر اليابانيون أن ما جرى حينها أول إهانة عظي وجبها لهم العالم الغربي وكان تدنيساً لأرضهم وإهانة لشعبها وإمبراطورها^(١١)، كما شكل التهديد الأمريكي منعطفاً حاسماً في آليات الاشتغال السياسي لحكومة توكوجاوا، ذلك بأن هذه استدعت في مناسبة غير مسبوقة، فئة الدايميو Daimyos للتشاور؛ بيد أنه لم يكن من حق هذه الفئة -في السابق- أن تبدي رأياً في الاتجاه السياسي العام؛ فمثل هذا التحول تعبيراً عن حالة العجز والضعف^(١٢).

"سعت حكومة "إدو" إلى كسب أوسع تأييد شعبي لسياساتها... لكن هذه الخطوة حققت نتيجة سلبية؛ فقد نتج من هذه الخطوة غير المسبوقة وتداخلها مع الأزمة الوطنية القائمة أن فُتح الباب واسعاً أمام موجات شديدة من الانتقادات"^(١٣) ضمن هذا السياق كره اليابانيون الأجانب "لأنهم جميعاً كانوا من "غير الأطهار" الذين لا ينبغي لهم أن يَطَوا أرض اليابان المقدسة، وبين هؤلاء الكارهين للأجانب كان الساموراي هم الأكثر جرأة"^(١٤) وفي مقدمتهم صايغوتاكاموري*.

أورد فوكوزاوا العديد من الأسماء التي تم اغتيالها بسبب تعاطفها مع الثقافة الأجنبية كما "هوجمت المتاجر التي تباع سلعاً أجنبية... لأنها... تسبب خسارة للبلاد"^(١٥) في اعتقاد الحركة الاحتجاجية. "بعد أشهر قلائل من وصول الكومودور بيرى... كانت أخبار ظهور الأسطول الأمريكي في "يدو" قد تركت تأثيرها بالفعل في كل بلدة في اليابان، وفي الوقت نفسه أصبحت مشكلة الدفاع الوطني وعلم المدفعية الحديث مناط الاهتمام الأول بالنسبة للساموراي جميعاً"^(١٦).

أحدث استسلام اليابان للضغوط الغربية رجّة حقيقية داخل المجتمع الياباني، تطلبت من حكومة الشوجون تقديم تبريرات تفسيرية لما حدث؛ فبفضل اتصالاته بالهولنديين كان المستشار أبي ماساهيرو Abe Masahiro*، مدركاً حجم القوة التي تتوفر عليها الدول الكبرى المترتبة باليابان، وكان مطلوباً منه توضيح قناعاته هذه لعناصر الدايميو Daimyos، وعلى أن حكومة الشوجون لم تتوفر على الوسائل الكفيلة بمواجهة ذلك. كانت مهمة ماساهيرو صعبة للغاية، فقد كان منتظراً منه الحفاظ على هيبة الحكومة "وعدم منح الفرصة للإقطاعيين الكبار للنيل من ضعف

مع اليابان، إلا أن الإدارة اليابانية بقيت متشبثة بخيار عزلتها، فرفضت عام ١٨٤٦م استقبال بعثة أمريكية^(١٧).

حملة بيرى ونواتجها السياسية والدبلوماسية

تسبب الرفض الياباني في توجيه أسطول أمريكي بقيادة الكومودور بيرى * commodore Perry عام ١٨٥٣م، الذي "أرسل مذكرة ودية إلى الحاكم العسكري "إيوشي" يؤكد له أن الحكومة الأمريكية لا تطلب أكثر من فتح بضعة موانئ يابانية في وجه التجارة الأمريكية واتخاذ بعض الإجراءات لحماية البحارة الأمريكيين"^(١٨). لكن أسلوب بيرى Perry ظل مرناً، حيث حدد مهلة عام كامل أمام اليابانيين للتفكير والرد على الرسالة المقدمة للشوجون.

وبعد انتهاء السنة أي في سنة ١٨٥٤م عاد الكومودور الأمريكي إلى السواحل اليابانية "مسلحاً بقوة بحرية أكبر، ومزوداً بمختلف الهدايا المغرية"^(١٩) وضم أسطوله ٢٥٠ مدفعاً، وتمكن - بسبب ذلك - من فتح قنوات التفاوض مع إدارة الشوجون واضطرت حكومة توكوجاوا Tokogawa إلى "توقيع اتفاقية كاناجاوا Kanagawa للصداقة مع الولايات المتحدة في ٣١ مارس ١٨٥٤م، والمعروفة باسم معاهدة السلم والصداقة بين الولايات المتحدة واليابان (Treaty of peace and amity between united states and Japan) ونصت المعاهدة على:

"- فتح موانئ شيمودا Shimoda وهاكوداتي Hakodati لإصلاح وتموين السفن الأمريكية.
- معاملة البحارة الأمريكيين الناجين من السفن الغارقة معاملة لائقة وإعادتهم إلى وطنهم.
- الموافقة على تعيين ممثلين قنصليين إذا رأت أي من الدولتين ذلك ضرورياً.

- يعد اليابان بمنح الولايات المتحدة حق الدولة الأولى بالرعاية"^(٢٠). وفي ١٨ يونيو ١٨٥٧م فرض القنصل الأمريكي على الحكومة اليابانية معاهدة لا متكافئة ثانية تخول للأمريكيين الإقامة بموانئ شيمودا Shimoda وناكازاكي Nakazaki وهاكوداتي Hakodati، لتعاطي التجارة فيها؛ وفي ١٩ يوليو ١٨٥٨م فرضت الولايات المتحدة معاهدة لا متكافئة ثالثة (معاهدة يedo) على حكومة الشوجون، سمحت لها بإقامة بعثة دبلوماسية بالعاصمة، وبتمثيل قنصلي بالموانئ المفتوحة للتجارة الأمريكية، وبمد هذه التجارة إلى خمس موانئ من بينها يedo*^(٢١).

حملة بيرى وإنكاسائها الداخلية

ضمن هذا الإطار "فُتحت الموانئ الكبرى للتجارة الخارجية... وُحددت الضرائب الجمركية، وفُصلت مقاديرها وأنواعها، واشترطت شروط اتفاق فيها على أن يوقف اضطهاد المسيحية في الإمبراطورية اليابانية"^(٢٢). شكل التوافق الأمريكي الياباني بداية سلسلة من الاتفاقيات مع بعض الدول الأوروبية كإنجلترا في أكتوبر ١٨٥٤م وفي ١٨٥٩م، ومع روسيا في فبراير ١٨٥٥م وفي ١٨٥٩م ومع هولندا في يناير ١٨٥٦م ومع فرنسا والبرتغال في ١٨٥٩م. "وكانت أخطر نقاط

النحدي الغربي والإلحاح نحو عهد الإحياء الإمبراطوري

نستنتج من قراءتنا لهذه الأحداث مجموعة من القضايا، وفي مقدمتها، أن الصدمة الغربية أحدثت بالفعل رجة حقيقية داخل المجتمع الياباني، وأنتجت داخله العديد من الأسئلة والاستفسارات، وفرضت عليه، بناء عليه، تقديم الرد والإجابات المناسبة؛ كما اضطرت النخبة الحاكمة، بكافة أطرافها، إلى التكيف مع الواقع الجديد وأخذته بعين الاعتبار عند كل اجتهاد سياسي وعسكري، أمام الإكراه الذي فرضته السفن العسكرية الأمريكية.

دلت المراحل الأولى، التي رافقت الوجود الأمريكي داخل الشواطئ اليابانية على فوضى الفكر وعدم القدرة على التقاط الخيط الناظم لمقدمات الهجمة الغربية وطبيعتها، وإثر ذلك طرأ نوع من "التعقل" في مساءلة الواقع الجديد المفروض؛ وفي ١٨٦٤م حدث منعطف استراتيجي مهم، فقبل هذا التاريخ "كانت الحركة الإمبراطورية تسير بشكل موازي مع حركة العداء للأجانب، لكن بعد ذلك حدث الانفصال بينهما".^(٢٤)

ضمن هذا السياق بدأت تبرز، داخل صفوف النخب اليابانية، مواقف تدعو إلى التخلي عن سياسة العزلة، والانفتاح على الغرب. وإذا كان بعض اليابانيين ود مواجهة الأجانب مهما كلف ذلك من تضحيات فإن "بعضهم الآخر كان من رأيه أن تقليد الغرب أجدى من طرده من بلادهم: فالوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها اليابان أن يتجنب الهزائم المتكررة والخضوع الاقتصادي الذي يشبه ما كانت أوروبا تفرضه عندئذ على الصين هي أن يتعلم بأسرع طريقة ممكنة أساليب الصناعة الغربية وفن الحرب الحديثة".^(٢٥) من جهة أخرى؛ نقرأ في وثيقة موجهة إلى الباكوفو سنة ١٨٥٧م: "يجب أن تفتح موانئنا أمام التجارة مع الأجانب، صحيح أننا لن نجني أرباحاً من وراء ذلك، لكن لا يمكننا أن نفعل غير ذلك، إن هدفنا يكمن في الحفاظ على قوانيننا ومؤسساتنا".^(٢٦)

أصبح مطلب الانفتاح على الغرب عنصراً أساسياً ضمن مكونات التفكير السياسي للعناصر الإصلاحية في اليابان، إلا أن ثمن الانفتاح لم يكن بخساً، ذلك بأن شعار "مجدوا الإمبراطور، اطردوا البرابرة" لم يَنمُج من المشهد الإصلاحي العام بالبلاد؛ وإذا كان مطلب "طرد البرابرة" والتخلي عن سياسة العزلة متعذراً لأسباب موضوعية، فإن إعادة الاعتبار للبلاط الإمبراطوري بقيت متقدمة لدى رواد الإصلاح، واحتاج تحقيق ذلك إلى مجموعة من المواجهات العسكرية؛ فمع "إطالة العام الجديد في أوائل يناير ١٨٦٨م نشبت معركة فوشيمي* وحلت الهزيمة بجيش الشوجون.. و.. اكتسحت فوضى كبيرة أرجاء البلاد، وشكل هذا بداية الإحياء الإمبراطوري".^(٢٧) أبانت حكومة التوكوجاوا عن عجز كامل أمام الدفاع عن سيادة اليابان، ووقعت في مأزق سياسي وعسكري حرج، وتوازى ذلك مع الدعوة إلى إعادة الاعتبار للسلطة الإمبراطورية، وفي ١٨٦٧م "حمل أمراء الإقطاع "كيكي" آخر الحكام العسكريين على النزول عن

التوكوجاوا".^(٢٨) وهم الذين حاولوا التقاط زخم اللحظة التاريخية، لتصفية الخلافات القديمة، وتجاوز التأخر والضعف في مواجهة القوى الكبرى بالمنطقة.

وقف بعض الفيوداليين ضد توقيع معاهدات مجحفة بحق اليابان، وكانوا يقولون إن "ورثة الشمس العظمى قد تربعوا على العرش الإمبراطوري من جيل إلى جيل دون تغيير منذ أقدم العصور، واليوم فإن البرابرة الأجانب القادمين من الغرب يعيثون في البحر فساداً، ويدوسون بأقدامهم الدنسة على بلاد الآخرين".^(٢٩) ودعا هذا التيار إلى إحياء النظام الإمبراطوري والعودة إلى سياسة العزلة، رافعا شعار "مجدوا الإمبراطور، اطردوا البرابرة".

كان التوقيع على المعاهدات السالفة تحدياً مباشراً "لإرادة الإمبراطور ومناصريه داخل إدارة الباكوفو، ولعدد كبير من الداييميو من حكام المقاطعات، ولجماعة الرونين * Ronin من الساموراي".^(٣٠) وضمن هذا السياق أصبح اليابان، يبحث عن منفذ لأزمته، وعن ردود مناسبة لمواجهة تحديات الغرب له. من جانب آخر، "انقدت المشاعر الوطنية ضد فتح البلاد للأجانب، وتعاضم الشعور الشعبي بضرورة مواجهة التهديد الخارجي بحشد قوى الأمة كلها والتفافها التفافاً فعالاً حول الإمبراطور، الرمز الشرعي الوحيد للوحدة الوطنية".^(٣١)

كما تزايدت الآراء المطالبة باحترام البلاط الإمبراطوري داخل صفوف التيار الوطني، واستهدفت من وراء شعار "مجدوا الإمبراطور، اطردوا البرابرة" الإطاحة بحكومة الباكوفو.^(٣٢) وقد وقف كبار الداييميو لمنطقة الجنوب الغربي، وخاصة لمقاطعات ساتسوما Satsuma وشوتشو cho-shu وتوزا Tosa، ضد إدارة الشوجون وتوافقاتها مع القوى الغربية، ورأت في الشعار السالف ضالتها لتصفية نزاعاتها وخلافاتها الإقطاعية القديمة مع حكومة توكوجاوا المغتصبة للسلطة الإمبراطورية.

صرح نارياكي داييميو ميتو Mito بأن الأجانب يشكلون تهديدا لاستقلال ووحدة اليابان، وبأن فتح الصين ميناء كانتون أمام الأوروبيين تسبب لها في حرب الأفيون.^(٣٣) التفت الغالبية العظمى من صناع القرار الياباني حول هذا المبدأ، وحاول هذا التيار "التصدي للهيمنة الأجنبية... بقتل بعض الأجانب، والاعتراض على دخول السفن الغربية الشيء الذي جعل القوى الغربية تتدخل بقصف بعض الموانئ اليابانية، وتفرض فتح اليابان لحدودها بالكامل مع التجارة الغربية مع تحديد الرسوم الجمركية التي تفرض على البضائع عند دخولها إلى هذه البلاد ب ٥% من قيمتها".^(٣٤) ونتيجة لمجمل هذه التحولات بدأت التحديات السياسية تفرض نفسها، وأضحت معالم القوة الغربية معطى موضوعيا تحتاج مدافعتها إلى خبرة وحكمة وتعقل في بناء المواقف الدبلوماسية وممارستها.

على مستوى آخر، يفضل كوهاشي وطاكاهاشي Kohachiro Takahashi الحديث عن التحول الاقتصادي للإقطاع الياباني. ويعتبر "المسألة الزراعية حجر الزاوية في ثورة الميجي"^(٣٢) لكن التأمل ومسألة تحولات المشهد السياسي الداخلي خلال هذه الفترة، يفصحان عن حضور ذهنية إصلاحية متميزة ودينامية، وعن أن كافة عناصر التغيير – بما فيها تنظيم المسألة الزراعية – لم تكن سوى إحدى النتائج العديدة لهذه الذهنية المتقدمة والمتسمة بالابتكار والتجديد؛ فقد استطاعت هذه الأخيرة استيعاب حجم التحولات، وتوجيهها نحو الفعل الحضاري الإيجابي؛ بل إن النظام الفيودالي والتزاماته الاجتماعية والاقتصادية والجائنية، ألغي بقرار إداري عندما تأكد مهندسو الإصلاح في عهد الميجي، أن الإبقاء عليه يعني استمرار الأزمة وعدم القدرة على مجاراة التحديات الغربية المختلفة. وفي ١٤ مارس ١٨٦٨م تم الإعلان عن مبادئ الإصلاح الخمسة، وهي:

١- "كل القرارات أو التدابير يجب أن تتخذ بعد نقاش جماعي للدفاع عن المصلحة العامة.

٢- من حيث المبدأ لا فرق بين أعلى وأدنى في اليابان، بل الجميع واحد مع الحفاظ بدقة على التراتبية الاجتماعية.

٣- من الضروري أن تتوحد السلطان العسكرية والمدنية في يد واحدة بهدف حماية حقوق كل الطبقات والمصلحة القومية العليا.

٤- يجب التخلي عن التقاليد الشكلية القديمة، والعمل على أن تظهر مساواة طبيعية بين الجميع دون تمييز.

٥- السعي لاكتساب الثقافة والتعليم في أي مكان في العالم واستخدامها في بناء ركائز الإمبراطورية اليابانية"^(٣٣)

أدرك اليابانيون "أن الدفاع الوحيد عن بلادهم ضد الغرب لن يتم دون أن يكون لليابان تفوقها التكنولوجي نفسه في المجالين العسكري والاقتصادي"^(٣٤) كان الانفتاح اختياراً مفروضاً من الخارج، و"اضطر اليابانيون إلى فتح أبوابهم مع بذل الجهود المكثفة لحماية أنفسهم من تكنولوجيا الغرب العسكرية والاقتصادية، وذلك بالحصول على هذه التكنولوجيا لأنفسهم. ومن خلال هذه العملية وجدوا أنه من الضروري إحداث تغييرات ثورية في مجتمعهم ونظامهم السياسي بشرط أن تتم من خلال خصائصهم التقليدية المعروفة من التجانس والمهارة في المشروع الجماعي"^(٣٥)

تنبه القادة اليابانيون إلى أن عملية الإصلاح الشامل لا يمكنها أن تتم بدون المدخل السياسي وضرورة تركيز القرار الإداري ومنح السلطة طابع الكاريزماتية والقداسة، وتم ذلك بتولية الإمبراطور الفتى موتسوهيتو MutsuHito (١٨٥٢-١٩١٢م) الحكم في الأيام الأخيرة من عام ١٨٦٧م. وإذا كانت بدايات الإصلاحات بأمر من الفتى الإمبراطور، إلا أنها كانت من صنع كبار قادة الساموراي المؤيدين له"^(٣٦) صحيح أن سلطة الشوجون أرجعت إلى الإمبراطور، لكن السلطة الحقيقية كانت لرجال مقاطعات ساتسوما Satsuma وشوتشو Chōshū.^(٣٧)

السلطة". وقد قال كيكي "إن معظم أعمال الإدارة الحكومية معيبة، وإني لأعترف خجلاً بأن الأمور في وضعها الراهن يرجع نقصها إلى ما أتصف به أنا من نقص وعجز، وما هو ذا اتصالنا بالأجانب يزداد يوماً بعد يوم، فما لم تتول إدارة البلاد سلطة مركزية موحدة انهار بناء الدولة انهياراً من أساسه، وعلى هذا القول أجاب الإمبراطور ميجي في اقتضاب قائلاً: "قد قبلنا ما عرضه توكوجاوا كيكي من إعادة السلطة الإدارية إلى البلاط الإمبراطوري"^(٣٨)

انتهت الخلافات الداخلية اليابانية، إذن، بهذا الحل التوافقي، الذي يدل على ذهنية اقتصاد الجهد والوقت، وعدم تبديد الطاقات وتبذير الإمكانيات. صحيح أن انتقال السلطة السياسية إلى الإدارة الإمبراطورية لم يكن يسيراً، لكن أسلوبه يستدعي وقفات تأملية عميقة. أدرك اليابانيون أن الصراعات الداخلية، لا يمكن أن تحقق المصلحة العليا للبلاد، ورأت في إعادة الاعتبار للإمبراطور وسيلة ضرورية لتجاوزها وتغييرها؛ ويمكن القول إن تمجيد الإمبراطور، وترسيخ صورته في المخيال الياباني، شكلاً انقلاباً حقيقياً في التصورات الإصلاحية، وفي انبعاث رؤية جديدة لتنظيم الدولة والمجتمع على أسس ومقاسات جديدة.

عهد الميجي وبداية النحول الياباني

في سياق التحولات الكبرى التي شهدتها اليابان إثر حملة بيرى، "مثل عهد الميجي مرحلة تغيير سياسية واقتصادية واجتماعية كبرى"^(٣٩) في تاريخه الحديث والمعاصر، ويؤكد Pierre Renouvin على أن عملية التحول تمت في زمن قياسي وفريد في تاريخ التحولات العالمية "فلم تمر فترة ٢٥ سنة حتى تم تحديث المؤسسات – ويضيف قائلاً -: "دون الحضور الغربي، ونموذجهم التحديتي، ودون المساعدة التقنية الغربية، لم يكن قطعاً لتحقيق عملية التحول"^(٤٠)

لا يمكن إنكار القيمة العملية لكتاب "مسألة الشرق الأقصى" «La Question d'extrême orient» وما ورد فيه من تحليلات عميقة ومتميزة لتحولات المجتمع الياباني أثناء عهد الميجي، لكن من المشروعية التساؤل عن حجم الدور الغربي في هذا التغيير، وهل يمكن اعتباره شرط وجوب في انطلاق عملية التحديث الياباني؟ وإذا كان ذلك صحيحاً لماذا فشلت التجربة الصينية، في بداياتها الأولى، رغم تعرضها لنفس التدخلات الغربية بعد حرب الأفيون؟ ولماذا انتكست التجارب العالمالية المختلفة، وعجزت عن تقديم نموذج تنموي، يشبه ما تحقق في مجتمع النيون!

ضمن هذه الرؤية نقول: "كانت سفن بيرى Perry مجرد عامل مساعد، بل يمكن القول إن ذلك العامل لم يكن بناءً؛ ففي اللحظة التي وصلت فيها هذه السفن كانت الوسائط الأساسية للتغيير الهائل المرتقب موجودة كلها في الداخل، بل إن حظوظ اليابان كان يمكن أن تكون أقل عجلة في النهوض بالمهمات المرتقبة، ولكنها قد قامت بكثير من منجزاتها على نحو أكثر تأنيلاً، متجنبة بذلك النتائج المأساوية الكامنة في المستقبل"^(٤١)

النخبة وصناعة التغيير في يابان الميجي

تثار أمامنا في مقدمة هذا المبحث مسألة أساسية تتعلق بدور بعض الفئات أو الطبقات في الدفع بالمجتمع نحو مبدأ التغيير دفعا لا يمكن مقاومته أو التغيير في مساره العام. أبان قادة مقاطعات ساتسوما وشوتشو عن قدرة متميزة على إعادة تشكيل الحقل السياسي الياباني، والاتجاه بالأمة اليابانية نحو التحديث، وتوظيف كل ما تتيحه الثقافة والرموز الأسطورية والثقافة اليابانية لخدمة هذا الهدف الحيوي. لقد أدركوا خصوصية اللحظة التاريخية، واستثمروها إلى أبعد مدى ممكن في التوجه بالمجتمع الياباني نحو آفاق جديدة من الممارسة التنموية.

وضمن هذا السياق وضع "الإمبراطور مايجي وفريق عمله الذي تجاوز الأربعمائة شخصية من ذوي الاتجاهات العامة والاهتمامات المتنوعة، برنامجا طموحا لتحديث اليابان منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر".^(٣٨) من جانب آخر تم استبدال شعار "مجدوا الإمبراطور، اطردوا البرابرة" بمبدأ جديد، هو: "بلد غني وجيش قوي" أو "جيش قوي ليابان غنية". وهو شعار أسس البداية الفعلية لنمو الإمبريالية اليابانية وتطورها.

لم تكن عملية الانتقال سهلة، إلا أنه - وعلى خلاف الثورات الكبرى- فإن تحولات الميجي لم تفرز ثورات مضادة ودموية، على شاكلة النموذج الفرنسي سنة ١٧٨٩م أو الروسي سنة ١٩١٧م؛ فقد أقدم حكام مقاطعات ساتسوما Satsuma، وشوتشو Choshō وتوزا Tosa وهيزن Hizen عام ١٨٦٩م على تسليم مناطق نفوذهم للإمبراطور و"قام بقية الدايميو بنهج نفس الأسلوب".^(٣٩) وفي المقابل تعاملت الإدارة الجديدة بحكمة وتعقل مع هذا التسليم، إذ تم الاحتفاظ بعناصر الدايميو، الذين سلموا أراضيهم للإمبراطور، كمسيرين جدد لمقاطعاتهم القديمة.

يستدعي نمط هذا الانتقال السلمي في مسير التحولات اليابانية الكبرى، إثارة بعض القضايا التي تفسر نجاح النماذج التنموية وتجارب الثورات والتحولات العالمية. وعلاقة بالموضوع، ما هو المسار الذي كانت ستأخذه التجربة اليابانية لولا ضغط المجموعات القبلية الوازنة في المشهد السياسي الياباني؟ أي مستقبل كان على اليابان مواجهته لولا دور مجموعة ساتسوما وشوتشو؟

تمتعت هذه المجموعات بثقل وازن ومؤثر في الحياة العامة في اليابان، حتى خلال فترة العزلة، ولم يحد من تأثيرها سوى القرارات الصارمة التي لجأت إليها حكومة التوكوجاوا لمنع الاتصال بالأجانب. ومع ذلك تبينت ضآلة حجم هذه السلطة عندما فرضت الولايات المتحدة شروطها التجارية سنة ١٩٥٣م، فاستغلت هذه المجموعات هذا الحدث وأطاحت بالنظام الشوجوني الذي فقد القاعدة المجتمعية المساندة.

وبمقتضى مرسوم ٢٩ غشت ١٨٧١م ألغى الإمبراطور "نظام العشائر الشوجوني الإقطاعي، واستعاض به نظام المقاطعات، فأُسست، إثر ذلك، المجالس المحلية في المقاطعات، وعُيّن لكل

مقاطعة حاكم يستمد سلطته من الحكومة المركزية المؤلفة من الإمبراطور، ومن وزارة بجانبه، ومجلس دولة".^(٤٠) وبمقتضى هذا الإلغاء، لم يعد لطبقة الساموراي توهجها القديم؛ وأضحى سلك الجندية مفتوحا أمام جميع مفردات المجتمع الياباني، كما أصبح التعليم الوسيلة الوحيدة للارتقاء الاجتماعي.

يعتبر حل وإلغاء طبقة الساموراي حالة متقدمة في التفكير الاستراتيجي الياباني؛ فقد تسبب هذا الإجراء في الحد من الكوابح التي يفترض أن تحول دون إمكانية نجاح مشروع التحديث السريع، الذي بدأت تسلكه الأوليغارشية الحاكمة. وإذا كان اليابانيون قد نجحوا في ترويض المجال العسكري، فإن الدولتين المغربية والعثمانية لم تستطعا الحد من نفوذ وسطوة المؤسسة العسكرية وتدخلها السافر في الحياة السياسية، وتعطيلها للتنمية المجتمعية داخل البلدين.

من خلال التأمل في الإجراءات التي اتخذها الحكام اليابانيون الجدد، يبدو التأثير الغربي جليا في تفاصيلها العامة. ذلك أن بصمات الثورة الفرنسية واضحة في هذا المجال، فلم تنجح هذه الأخيرة في تثبيت أركانها إلا بعد إلغاء النظام الفئودالي، وتوابعه الطبقي والسياسية والجبائية. فالقرارات الصادرة عن الجمعية الوطنية الفرنسية في ٤ غشت ١٧٨٩م، نصت على مبادئ متعددة منها ما يلي:

- يُلغى النظام الإقطاعي عن آخره.
- يُلغى من الآن شراء المناصب الإدارية والبلدية ..
- يمكن لجميع المواطنين دون تمييز شغل المناصب المدنية والعسكرية.

كان اليابانيون يبحثون عن سكة جديدة تسير عليها الخطى التنموية الحديثة، وكان إلغاء النظام الفئودالي بداية السبيل للتخلي عن أنماط العلاقات المجتمعية السالفة، والتحلي بمظاهر التحديث الغربي الوافدة. أدركت الأوليغارشيا الحاكمة ضرورة توقف عجلة نظام التوكوجاوا الفئودالي، بعد أن استنفدت أغراضها التاريخية، وقررت الانتقال بالمجتمع نحو عجلة جديدة مختلفة في جوهرها وأشكال دورانها. ولا شك أن سرعة التحولات والتغييرات التي عرفها عهد الميجي تفصح عن حجم الجرأة التي امتلكها القادة اليابانيون الجدد في صياغة المجتمع بمقاسات جديدة وجريئة؛ وفي مقدمتها إلغاء الامتيازات التي كانت تتمتع بها فئات الحظوة الاجتماعية، "فقد زالت التفرقة القانونية التي كانت تميز طبقة الساموراي عن غيرها من الطبقات الأخرى، خلال سنوات قليلة. إلى أن أصبحت.. مجرد مجموعة لها دلالاتها التاريخية فقط في السجلات الرسمية".^(٤١)

إذا كان عهد التوكوجاوا قد حاول التوفيق بين اعتبارات الوراثة والكفاءة في إسناد المناصب الحكومية، ففي عهد الميجي "تم إلغاء الامتيازات التي كانت تمنح للأفراد على أساس المركز والتوارث، كما

كان تاكاموري، المتشبع بخصال الساموراي، يبحث عن مكان له في ذاكرة المجتمع الياباني، ليكون موضوعاً للتأمل والاستلهام؛ فبعد مواجهات عنيفة، وعندما بقي في قلة من أنصاره قرر ممارسة شعيرة السيوكو، واضعاً حداً لمساره الحافل بالأمجاد ومنتصراً لقيم النبيل والعيش للمبادئ والتصورات النابعة من خصوصيات أرض الميكادو.

لم يكن تاكاموري حالة فردية منفصلة عن سياقها المجتمعي، بل مثل شريحة واسعة من أبناء الساموراي؛ وقدر لأفكاره الداعية إلى الحفاظ على منظومة القيم الداخلية، أن تعيش بعد زوال الانهيار بالنموذج الغربي. ألم يقل ياسوموزاكورودا إن القيم تعود من جديد "عندما يبلغ المجتمع مرحلة النضج؟" (٤٨) تحول الشخص بعد انتحاره إلى رمز وذاكرة، ومنحه الإمبراطور العفو، ووضعت له النصب التذكارية، اعترافاً له بالجهد المتميز الذي بذله في الإطاحة بنظام التوكوجاوا، وإرجاع السلطة المغتصبة للإمبراطور، والسماح لليابان بدخول نادي القوى الكبرى عند بداية القرن العشرين.

أنتجت الهجمة الغربية اختلافاً في سبل مدافعها والرد على تحدياتها المادية والمعنوية؛ وكان من الطبيعي أن تختلف النخب الفكرية والسياسية في هذا المجال، وأن يتطور الأمر إلى حد المواجهة العسكرية. كان بإمكان صايغو أن يبقى في الحكومة، متلقياً الدعم من رجال الزايباتسو الداعين إلى مزيد من الانفتاح على الغرب؛ وكان يمتلك من الإمكانيات البشرية والعسكرية ما يقاوض بها لأجل دعم نفوذه الشخصي والحصول -كما حصل زملاؤه، الذين ساهم بالمرشحين، على الثروة والسلطة. لكن شيئاً من هذا لم يحدث؛ وكان الثبات على الموقف والدفاع عنه حتى الموت، علامةً مضبوطة في تاريخ الرجل ورفاقه من الساموراي.

لكن ما هي حدود دائرة الإشعاع التي مارسها شخصية تاكاموري وما هي القيمة المضافة التي حققتها جهوه وإنجازاته على المستويات الحضارية والإنسانية؟ الأكيد أن ذلك لم يتعد حدود الثقافة اليابانية المحلية. وبقي الرجل بقيمه الشهمة والنبيلة حبيس الانتماء القبلي والوطني الضيق. وفقد خاصية القيم ذات البعد الإنساني، خاصة بعد إلحاحه المستمر على غزو كوريا، مع ما تعنيه من مآسي وآلام اكنوت بنارها شعوب لا تنتمي لأرض الميكادو.

اليابان بين مرحلة الدهشة والبناء الاستراتيجي

إذا كان مهندسو عهد الميجي، الشبان، منجذبين - في بداية مرحلة الانتقال- إلى كل ما هو غربي دون تمييز ونقد، فقد ظهرت بعد ذلك "اتجاهات... تدعو إلى ضرورة تمحيص وتمييز الأنماط الحديثة الوافدة، وعدم التلطف والتسرع بشأنها، كما ترسخت أهمية العناصر المحلية وضرورة التمسك بها وإحيائها" (٤٩).

اجتهد اليابانيون في وضع مسافة معينة بين التقاليد المحلية، والأنماط الثقافية الوافدة منذ فترة القرن الثامن عشر، وفي هذا الإطار "حاول موتوري نوريناغا (١٧٣٠-١٨١٧) Motoori Norinaga بعث ما سماه الثقافة واللغة اليابانيتين الأصيلتين، في مقابل، إزاحة

تم التخلي تدريجياً عن معايير القراية والمصاهرة والمحابة لصالح معايير الإنجاز والكفاءة" (٤٢).

النحدي الفربي وجيوب المقاومة اليابانية

لم تمر هذه المقدمات بدون نقد؛ فقد خرج، من صفوف النخبة اليابانية، من حمل بشدة على التوجهات الجديدة، وفي مقدمتهم صايغوتاكاموري SaigoTakamori ١٨٢٧-١٨٧٧م، الذي اعتبره فوكوزاوايوكيتشي، "البطل الكبير في عهد الميجي، وأنه لا يمثل حالة خاصة بقدر ما يعبر عن صورة المجتمع الياباني برمته" (٤٣). ينتمي الرجل إلى مقاطعة ساتسوما Satsuma، وأفرد له إفانموريس Ivan Morris في كتابه La noblesse de l'echec، أوصافاً رفعت في نظر اليابانيين إلى مقامات القديسين، وتمكن موريس، بدرجة متميزة، من اختراق نفسيته القلقة والشجاعة من خلال ما قيل عنه من قبل مفكرين ومبشرين يابانيين، أو من خلال تأملاته الفلسفية، وأشعاره المعبرة وقراراته الفولاذية، وانحيازه المطلق لأمال وتطلعات الفئات المعوزة داخل مجتمع التحديث الياباني الذي بدأ في إنتاج الفوارق والامتيازات والاحتكارات.

"اكتسب صايغو شعبية واسعة، وتم اعتباره نموذج الساموراي الأصيل من خلال تمتعه بقيم الولاء والشجاعة والصلابة في مواجهة الموت وعدم الارتشاء وبصفات الرحمة والعدل" (٤٤). اختلف صايغو مع رفاق الأمل حول تحديث اليابان، ودرجة الانفتاح على الغرب، وظل يؤكد على مبدأ تخصيص الإمكانيات المالية المتوفرة للمسألة العسكرية، (٤٥) عوض الاستغراق في التحديث المدني ومتطلباته المالية المرتفعة. ومن هنا تحمس بشدة لغزو كوريا، مستغلاً الغياب الحكومي في بعثة إيواكارا المشهورة سنة ١٨٧١م.

لم يستسغ الساموراي الأخير، إقدام الحكم الجديد على حل طبقة الساموراي وإلغاء امتيازاتها القديمة المتوارثة. ومن ثم اعتبره بعضهم محافظاً، ونموذجاً حقيقياً للساموراي الأصيل، الذي يبحث عن المعنى، ويعيش لقيم الشهمة والبسالة (٤٦). ولا غرابة أن يتخلف الرجل عن قادة بعثة إيواكارا عام ١٨٧١م إلى مجموعة من دول العالم المسيحي والإسلامي؛ فقد كانت له مواقفه الخاصة والصارمة من موجة التحديث الذي ازدادت وتيرته باليابان بسرعة مفرطة؛ "ومن بين أفراد الأوليغارشية اليابانية الحاكمة، كان تاكاموري أحد اثنين لم يزورا أبداً إحدى الدول الغربية" (٤٧).

لم يقدر لأفكار تاكاموري أن تجد لها مكاناً مناسباً داخل المشهد التنموي السريع داخل يابان الميجي. وتطور الأمر إلى مواجهة عسكرية بين أنصاره والجيش الإمبراطوري. بُدلت محاولات عديدة لإبقائه وعودته إلى الطاقم الحكومي، واستفادته من امتيازات السلطة. لكن الرجل بقي ثابتاً في مواقفه وانحاز إلى الفئات التي همشها العهد الجديد. ويبدو أنه كان واعياً باستحالة العودة إلى الوراثة، نتيجة حجم التغييرات التي حدثت في مجتمع النيبون، ودور الكارتيلات - الزايباتسو- المتنامية في الدفع بخيار التحديث نحو مزيد من الانفتاح على الغرب وأدواته المادية.

أطروحات رجال الميحي، في بداية عهد التغيير، وفي هذا الإطار يحدثنا قائلاً: "لقد كرهت السياسة البيروقراطية والباطشة والمحافظة والمناوئة للأجانب التي أنتجت حكومة الشوجون، ولن أقف إلى جانبها. ومع ذلك؛ فإن أنصار القضية الإمبراطورية يظلون أشد عداً للأجانب، وأكثر عنفاً في تحركهم، ولذا فإنني أكن قدراً أقل من التعاطف لهم".^(٥٥) لم يكن فوكوزاوا منظرًا لشرعية الحضور الغربي باليابان، لكنه، وبسبب وعيه التاريخي والتربوي ومعرفته الجيدة بالظاهرة الغربية، أصبح متأكداً من قوتها الذاتية والموضوعية، فدعا إلى الاعتراف بها والتعامل معها، والتأسيس لنموذج يتعامل بمنطق الندية معها. يمكن تصنيف بعض كتابات يوكيتشي ضمن أدب الرحلة، فقد امتلك الرجل قدرة وصفية متميزة، أثناء زيارته لأمريكا وأوروبا كما كان له موقف خاص من الحضارة الغربية.

سعى المصلحون اليابانيون إلى تأسيس دولة عصرية في مختلف المجالات، وأصبح واضحاً لدى النخبة اليابانية "أن نقل التكنولوجيا والعلوم العصرية المنتشرة لدى الغرب المتطور لا يشكل خطراً على اليابان، بل يساعد على تقويتها في مواجهة الضغوط الخارجية".^(٥٦) وعلى امتداد ثلاثين سنة، واعتماداً على نخبة منفتحة على الغرب، ومتشبثة بمطلب المصالح الوطنية، تحولت البلاد إلى رقم صعب في المعادلة الاقتصادية والعسكرية العالمية.

لم تكن حملة بيرى حركة عسكرية عادية، فقد مثلت على المستوى النفسي صدمة شعورية قوية، لم تحتملها البنية الداخلية لمجتمع التوكوجاوا. ولم تستغفها العقلية اليابانية، التي تؤمن بنرجسيتها وتميزها عن أمم وشعوب الأرض. تطلب الأمر ردًا يناسب حجم التحديات التي تفرضها، وربما تكون سرعة التحولات ترجمة فعلية لذلك. كما يمكن القول إن الحملة اليابانية العنيفة على الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور نوع من أشكال التحرير النفسي لطاقة الكبح التي صبر اليابانيون على الاحتفاظ بها، منذ حملة بيرى، إلى حين توفر الظروف التي حسبوها مناسبة لرد الدين الأمريكي.

يستدعي نمط التحول الياباني وقفة خاصة، فبالإضافة إلى سرعة التحول والتغيير التي رافقته، فقد ظل مفارقاً للنتائج الديموية، التي لازمت العديد من الثورات العالمية، كالثورة الفرنسية أو الأمريكية أو الروسية، وبقي محافظاً على عناصر التوليف بين مفردات المجتمع الياباني، والبحث لها عن أدوار مناسبة في عملية البناء الجديد.

تطلبت هذه العملية موارد مالية مهمة لتعويض الفئات المتضررة ولتطوير المقاولات الصناعية التابعة للدولة.^(٥٧) وأدت في آخر المطاف إلى تحطيم أسس النظام الاجتماعي للإدارة الإقطاعية السابقة، "مما أفسح المجال أمام الثورة الإدارية والسياسية".^(٥٨) ويثار أمامنا في نهاية هذا المبحث، دور الإدارة اليابانية في الانتقال بالمجتمع ونشاطه الاقتصادي من نمط إنتاج فيودالي إلى نمط إنتاج رأسمالي. وإذا كان فرناند بروديل يقول بعدم "قدرة الرأسمالية على الانتصار بدون انتسابها للدولة".^(٥٩) فإن ذلك يصدق حقيقة على

الكم الهائل من العناصر الثقافية واللغوية التي تم اقتباسها من الصين".^(٥٥) وفي فترة القرن التاسع عشر، وخاصة بعد مرحلة الانفتاح المفروض على اليابان، برزت التحديات الغربية، وبدأت في إثارة أسئلتها وتحدياتها على مجتمع النيبون، "وابتداءً من ١٨٨٥ م، رفع قادة الميحي شعار «عقلية يابانية، تقنية غربية» مع ما يعنيه ذلك من مبدأ استيراد التقنيات الغربية، دون تبني مقدماتها الثقافية".^(٥٦) صحيح أن عهد الميحي شكل حدًا فاصلاً بين حكومة الإقطاع والحكومة الإمبراطورية إلا أن "الحكومة الجديدة، وعن طريق الاستخدام الذكي للطاقت الثقافية المتجمعة والمعروفة من عناصر الإقطاع، استطاعت أن تحافظ على ارتباطها بالماضي".^(٥٧)

يرتبط نجاح المشاريع التنموية بطبيعة وآليات الدمج بين المعطيات الذاتية المكتسبة والعناصر الموضوعية الوافدة. ويتقرر مآل هذا النجاح في التعرف على معالم القوة التي تخزنها الذاكرة الجماعية للمجتمع، ممثلة في القيم الثقافية. وتشكل هذه الأخيرة المادة الخام التي تحتاج إلى قيادة يحصل لها الاستبصار- بالتعبير الخلدوني- فتستثمر زخم اللحظة التاريخية، وتدرك أهميتها في مطلب التغيير. وعندما تتعرض لخطر خارجي، أو تحدي حضاري، فإنها تنفتح عليه من موقع القوة الذاتية المؤسسة سالقاً.

كان فوكوزاوا يوكيتشي معجباً بمظاهر التحديث الغربي، وتحدث - بتجرد- عن ذلك عندما سجل في مذكراته قائلاً: "من خلال ملاحظاتي في كل من الحضارة الغربية والشرقية، فإنني أجد كل حضارة لها نقاط قوة ونقاط ضعف، تدرجها معا في تعاليمها الأخلاقية، ونظرياتها العلمية، ولكني عندما أقارن الحضارتين الغربية والشرقية، بطريقة عامة، فيما يتعلق بالثراء والقوة وتوفير أعظم سعادة لأكبر قدر من الناس، فإنني يتعين علي أن أضع الشرق في أدنى مرتبة من الغرب".^(٥٨) إن اعتراف يوكيتشي بتفوق الحضارة الغربية نابع أساساً من مشاهداته العيانية لمظاهرها أثناء رحلاته إلى كل من الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا أثناء عهد إدارة الشوجون.

ولم تبق أفكاره حبيسة التنظير الفلسفي الجامد والقاتل، بل كان الرجل فاعلاً أساسياً في مسلسل التحديث الياباني بتأسيسه للعديد من المنابر التعليمية، وبتقديم التوجهات لإدارة الميحي الجديدة، والحمل بشدة على بقايا الثقافة الصينية، وعلى بعض آثار النظام السابق. وتبدو نزعتة الليبرالية بوضوح عندما قال: "عندما يفتقر شعب إلى روح الاستقلال الفردي، فإن الحصول على الحق المناظر - حق الاستقلال الوطني- يكون مستحيلاً.

إن الأشخاص الذين يفتقرون إلى روح الاستقلال الفردي لن يكون لديهم اهتمام حقيقي ببلدهم. لا بد أن تمتلئ اليابان بروح الاستقلال إذا أردنا أن ندافع عنها ضد التهديدات الخارجية".^(٥٩) لا يتحدث فوكوزاوا عن النموذج الليبرالي-كما نشأ وتطور في الغرب - لكنه، ينتقد، من خلال ما ذهب إليه، القيود التي بقيت - في رأيه- تقيد مبادرة التغيير الحقيقي. ولذا لا نستغرب معارضته لبعض

الهوامش

(1) Pierre Renouvin, *La Question de l'extrême orient (1840-1949)* Librairie Hachette, Paris 1946, p: 49.

*Adam ErikovichLaxman، عقيد في البحرية الروسية، ازداد سنة ١٧٦٦م، أرسلته الإمبراطورة كاترين الثانية، سنة ١٧٩٢م، لإقامة علاقات دبلوماسية مع اليابان، إلا أنه فشل في تحقيق مهمته. بتصرف عن:

<http://www.webdico.com/dico/histxtg31.html>

*Nemuro، مقاطعة يابانية قديمة، توجد اليوم شرق جزيرة هوكايدو. يبلغ عدد سكانها اليوم ٤٠٠٠٠٠ نسمة، ومثلت محطة للصيد البحري منذ عهد الميجي، بتصرف عن:

Dictionnaire en ligne de géographie et voyages au Japon: Ville Nemuro, dans:

http://www.docoja.com:8080/jisho/mainword?dbname=geof&mainword=Ville_Nemuro

(2) René Grousset et Emile Leonard, *Le Japon*, Editions Gallimard 1985, p: 1544.

(3) Pierre Renouvin *La Question...*, op.cit..., p: 50.

*الكومودور بيرى: Matthew Calbraith Perry ازداد ١٠ أبريل ١٧٩٤، وتوفي ٤ مارس ١٨٥٨، وهو الكومودور البحري الذي ضغط على اليابان من أجل انفتاحها على التجارة الأمريكية، وذلك بتوقيع اتفاقية كاناغاوا Kanagawa سنة ١٨٥٤م، تم التعريف به بتفصيل في:

http://en.wikipedia.org/wiki/Matthew_C._Perry

*إيبوشي: (١٧٩٣-١٨٥٣م)، لم يكن ينتظر قدوم الأمريكيين بقوة السلاح ومحاولة فرضهم اتفاقيات على حكومة الباكوفو، وأصابه مرض شديد توفي على إثره في ٢٧ يوليوز ١٨٥٣. بتصرف عن:

http://en.wikipedia.org/wiki/Tokugawa_Ieyoshi

(٤) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، الجزء الخامس من المجلد الأول، المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطبع والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٦٦.

(٥) ويل ديورانت، المرجع نفسه، ص: ١٦٦-١٦٧.

(٦) إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ شرق آسيا الحديث، مكتبة العكيان، الطبعة الأولى، الرياض ١٩٩٤م، ص: ١٣٤-١٣٥.

(٧) علي المحجوبي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر، لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان، سراس للنشر، تونس ١٩٩٩، ص: ٢٠١.

* يدو: المدينة التي تحول إسمها إلى طوكيو بعد ١٨٦٨. وتعني أيضا فترة حكم التوكوجاوا (1600-1868) Époque d'Edo

(٨) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص: ١٦٧.

(٩) مسعود ضاهر، النهضة اليابانية المعاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص: ٢٣٩.

(١٠) أكيرا تانكا، "عهد الميجي واليابانيون"، ضمن خفايا المعجزة اليابانية، ترجمة عبد الله مكي، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩، من ص: ٢١ إلى ص: ٢٦، ص: ٢٢.

(١١) فايز صالح أبو جابر، التاريخ السياسي الحديث والعلاقات الدولية المعاصرة، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨٩، ص: ١٥.

(12) Pierre Renouvin. *La Question...*, op.cit, p: 51.

(١٣) أدوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة ليلي الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٣٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص: ١١١.

(١٤) فوكوزاوا يوكيتشي، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي الذاتية ومقدمة أعماله الكاملة، ترجمة كامل يوسف حسين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية ٢٠٠١، ص: ٢٦٦.

* صايفوتاكاموري: (١٨٢٧-١٨٧٧ م.) قائد عسكري وسياسي ياباني، أحد الثلاثة الكبار مع "أوكوبوتوشيميتشي" و"كيدوتاكايوشي" الذين قادوا الحركة، التي أسفرت على إعادة الحكم للإمبراطور والقضاء على النظام الإقطاعي القديم.

النموذج الياباني، حيث كثفت دولة الميجي والأوليغارشيا الحاكمة من تدخلها في رسم عناوين السياسة الاقتصادية وتفاصيلها، "وفرضت، بشكل جذري، النظام الرأسمالي على المجتمع، وقامت بتغذيته وحمايته وتطويره وترسيخ أسسه بهدف اللحاق بالدول المتقدمة".^(٦٠)

يشبه النموذج الياباني، مثيله الألماني في عهد بيسمارك، "فخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شهد البلدان ثورة معكوسة، قضت بهما على الحواجز الفيودالية، ودعم بيسمارك البورجوازية الصناعية، والمالية، والتجارية.. وفي اليابان نجحت القوى المحاربة القديمة، من خلال رمزية الإمبراطور، في الإطاحة بالنظام الفيودالي.. وفي بداية القرن العشرين، أصبحت ألمانيا أقوى دولة صناعية رأسمالية بأوروبا، وبالمثل أضحت اليابان القوة الصناعية الرأسمالية الوحيدة بآسيا".^(٦١)

خاتمة

يظن أويانغ لي O-YoungLee "بأن التحولات الكبرى التي شهدتها تاريخ اليابان، قادتها مجموعة أفراد معينين، يحملون مشروعا ذهنيا محددا".^(٦٢) وهو قول يستقيم أثناء دراسة عقلية الابتكار لدى قادة عهد الميجي، والأسلوب الذي أداروا من خلاله دواليب الدولة الحديثة في اليابان.

تصدق هذه القاعدة على مجموعة من التحولات الكبرى التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل والممتد، حيث يبرز دور النخبة المفكرة في التقاط عناصر القوة والدفع بالتغيير إلى مستوياته العليا والمتقدمة، مستفيدة من ملاءمة الظروف المحيطة، ومن المواد الخام المادية والرمزية المتوفرة.

تقوم عملية الإصلاح والتغيير على قواعد منضبطة بآليات التعاقب التاريخي، وتفيدنا تجربة النهوض اليابانية خلال عهد الميجي في إدراك الأبعاد الاستراتيجية لصناعة التنمية وتجاوز العقبات والتحديات.

نجح اليابان بقاتته ونخبه وإمبراطوره في تجاوز عقدة التفوق الغربي في لحظة تاريخية حرجية، ووظفوا من أجل تحقيق ذلك كافة عناصر القوة المادية والمعنوية، واستطاعوا في زمن قياسي بناء دولة حديثة تنافس الكبار في مسرح العلاقات الدولية وفي إنتاج التقنية وأسرارها العلمية.

- (٣٣) مسعود ضاهر، مرجع سابق، ص: ٥٩.
- (٣٤) أدوين رايشاور، مرجع سابق، ص: ١١١.
- (٣٥) المرجع نفسه، ص: ٣٣٧.
- (٣٦) مسعود ضاهر، مرجع سابق، ص: ٢٤٠.
- (37) Jaques Mutel, **La fin du shogunat et la Japon du Meiji (1853-1912)**, Hatier université, Paris 1970, p: 51.
- (٣٨) مسعود ضاهر، مرجع سابق، ص: ٢٤٣.
- (39) René Grousset et Emile Léonard, Op. cit. p: 1551.
- (٤٠) إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص: ١٣٩.
- (٤١) أدوين رايشاور، مرجع سابق، ص: ٢٢٥.
- (٤٢) أحمد بهي الدين قنديل، الثقافة السياسية اليابانية، مجلة أوراق آسيوية، العدد ٣٠، فبراير ٢٠٠٠، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، ص: ٢٣.
- (43) Ivan Morris, **La noblesse de l'echec**, traduit de l'anglais par Suzanne Nitillard, Gallimard, Paris, 1980 page: 269.
- (44) Mark Ravina, **The last samurai : the life and battles of Saigo Takamori**, Hoboken, N.J. Wiley 2004, page: 6
- (45) En.wikipedia.org/wiki/Takamori_Saigo www.jref.com/glossaire/saigo_takamori.shtml
- (47) Ivan Morris, La noblesse de l'echec. op.cit. Page: 302
- (٤٨) ياسومازا كورودا، التحديث والافتراق في اليابان، مجلة المستقل العربي، عدد ٦٩، سنة ١٩٨٤ من ص: ١٢٢ إلى ص: ١٣٧.
- (٤٩) عبد الغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص: ٩٧.
- (50) Bernard Bernier, **Le Japon, la modernité et l'anthropologie**, http://www.ant.ulaval.ca/anthropologieetlesocietes/1998-3-presentation.html, page: 1
- (51) Bernard Bernier, **Le Japon, la modernité et l'anthropologie**. Op. cit; Page: 1
- (٥٢) أكيرا تانكا، مرجع سابق، ص: ٢٤.
- (٥٣) فوكوزاوا يوكيتشي، مصدر سابق، ص: ٢٥٤.
- (٥٤) باتريك سميث، ص: ٨٥.
- (٥٥) فوكوزاوا يوكيتشي، مصدر سابق، ص: ٢٢٦.
- (٥٦) باتريك سميث، مرجع سابق، ص: ٨٥.
- (57) Kohachiro Takahashi, op.cit., p: 50.
- (58) Pierre Renouvin, La Question..., op.cit., p: 82.
- (59) Fernande Braudel, **La dynamique du capitalisme**, Flammarion, Paris, 1985, page: 68
- (60) Eric Boulanger, **Le nationalisme économique dans la pensée et les politiques publiques du Japon**. Université du Québec à Montréal 2002 Économie politique internationale. cahier de recherche. Site: http://www.unites.uqam.ca/gric/pdf/LE_20NATIONALISME.pdf
- (61) **Origines du communisme japonais, débat sur la « révolution par étapes » et l'occupation américaine**. La restauration Meiji: une révolution pro-bourgeoise non démocratique. Spartacist, édition française, numéro 36, site: n° 34, automne 2001 http://www.spartacist.org/print/francais/spf/36/meiji.html
- (62) O-Young lee, **Smaller is better**, traduit de l'anglais par Jean Martel. Masson, Paris, 1988, page: 118.
- كان في بداية أمره من المعارضين لمظاهر سلطة نظام "الشوجون"، فقاد عدة حركات لإعادة السلطة الإمبراطورية، ثم انقلب في آخر حياته ضد حلفائه، فقاد حركة المعارضين وانتهى أمره بأن اختار الانتحار طواعية ("سويوكو") بعد هزيمته أتباعه. [ترجمة خاصة]
- (١٥) فوكوزاوا يوكيتشي، مصدر سابق، ص: ٢٦٦.
- (١٦) المرجع نفسه، ص: ٥٣.
- * **أبي ماساهيرو**: Abe Masahiro، ازداد ٣ دجنبر سنة ١٨١٩، وتوفي ٠٦ غشت ١٨٥٧. ينتمي على عائلة نبيلة، تكلف بمهمة التفاوض حول انفتاح اليابان أمام التجارة الأمريكية بعد حملة بيرى سنة ١٩٥٣. بترجمة وتصرف عن: http://en.wikipedia.org/wiki/Abe_Masahiro
- (17) Pierre Renouvin, La Question..., op.cit, p: 51.
- (١٨) محمد عبد القادر حاتم، أسرار تقدم اليابان، مطابع الأهرام التجارية، مصر، ١٩٩٠، ص: ٤٦.
- * **الرونين**: Ronin: وتعني الكلمة -الرجل التائه، وهو الساموراي، الذي تخلى عن سيده. وقد تطورت أعدادهم خلال فترة الإيدو ١٦٠٠-١٦٨٦م، بسبب الإجراءات الصارمة التي اتخذها الشوجون، ومنها عدم السماح لهم بتغيير السيد، ومنع زواجهم من غير المقاطعات التي ينتمون إليها. تعريف خاص
- (١٩) مسعود ضاهر، النهضة العربية والنهضة اليابانية، عالم المعرفة، عدد ٢٥٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٩م: ص: ١٦١.
- (٢٠) أدوين رايشاور، مرجع سابق، ص: ١١١.
- (21) René Grousset et Emile Léonard, **Le Japon**, Histoire universelle 3, Edition Gallimard 1958, p: 1543.
- (22) Pierre Renouvin La Question..., op.cit., p: 51.
- * **حرب الأفيون**: حرب اندلعت بين الصين و إنجلترا (١٨٣٩ - ١٨٤٢م) انتهت بهزيمة الصين وتوقيع معاهدة نانكين عام ١٨٤٣ التي استولت فيها بريطانيا على هونغ كونغ، وفتحت الموانئ الصينية أمام البضائع الغربية بضرائب بلغ حددها الأقصى ٥%. واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية الدخول إلى الأسواق الصينية ومناقشة شركة الهند الشرقية في تلك الحرب، فوقعت اتفاقية مماثلة عام ١٨٤٤، وكان من نتائج تلك المعاهدات الانتشار الواسع للأفيون في الصين، فوصل عدد المدمنين بها عام ١٩٠٦ على سبيل المثال خمسة عشر مليوناً، وفي عام ١٩٢٠ قدر عدد المدمنين بـ ٢٥% من مجموع الذكور في المدن الصينية. واستمرت معاناة الصين من ذلك النبات المخدر حتى عام ١٩٥٠م عندما أعلنت حكومة ماوتسيتونغ بدء برنامج فعال للقضاء على تعاطيه وتنظيم تداوله.
- (٢٣) علي المحجوبي، مرجع سابق، ص: ٢٠٢.
- (24) Pierre Renouvin La Question..., op.cit., p: 56.
- (٢٥) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص: ١٦٧.
- (26) Jean Claude Gaudry, **Les Japonais**, Edition Balafand, 1979, p: 107.
- * **معركة فوشيمي**: وتسمى أيضاً بمعركة البوشين Boshin La guerre de، وقد ابتدأت في يناير ١٨٦٨م في عهد الإمبراطور المييجي، واستمرت إلى حدود ماي ١٨٦٩م، وقد جمعت من جهة التحالف الإمبراطوري المكون من قبائل ساتسوما وهيزن وتوزا وشوتشو ومساندهم، مع الجهة المقابلة التي تشكلت من الجيش الشوجونيومناصريه. الذين انهزموا أمام تحالف البلاط الإمبراطوري. بترجمة وتصرف عن: http://quelqueshistoires.centerblog.net/1959424-japon-
- (٢٧) فوكوزاوا يوكيتشي، مصدر سابق، ص: ٢١٧.
- * **كيكي**: يقصد به آخر الحكام الشوجون، وأسرة التوكوجاوا.
- (٢٨) ويل ديورانت، قصة الحضارة، مرجع سابق، ص: ١٦٨.
- (٢٩) أكيرا تانكا، مرجع سابق، من ص: ٢١ إلى ص: ٢٦، ص: ٢١.
- (30) Pierre Renouvin La Question..., op.cit., p: 17.
- (٣١) باتريك سميث، اليابان، رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٦٨، ٢٠٠١، الكويت، ص: ٦٠.
- (32) Kohachiro Takahashi, « **La place de la révolution Meiji dans l'histoire agraire du Japon** », Du féodalisme au capitalisme, problèmes de transition, Tome II, collection Maspero 1977, p: 24.